المشرق

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي

إكمالًا لبحثنا عن منشإ الطائفة المارونيَّة وتكوّنها نضيف الى ما سبق من الكلام بعض افادات تتعلّق بحياة القديس مارون الذي خلّف اسمهُ للطائفة الموما اليها. غير أننا لا نتجاوز الحيّز الجغرافي الذي رسمناهُ فنتكلّم من ثمَّ على حيـاتهِ لا من الوجه التاريخي بل من الوجه الجغرافي لاسيَّما وان هذا الوجه قد كثر تغاضي الباحثين عنهُ حتى الآن فبقيت فيهِ مشاكل كثيرة لا بُدَّ من تفكيك معضلاتها

*

ليس في ايدينـا شيء يروي اخبار القديس مارون غير مصدر واحد اصلي اي الترجمة التي تركها تودوريطوس اسقف قورس (١ وهي تَرِكة جليلة القدر يكفي انتسابها الى هذا المؤرخ الجليل للحكم على مكانتها من الاهمية ولولا ايجازها المفرط لما وجدنا فيها مساغًا للانتقاد ونأخذ عليهِ انهُ اهمل الوجه الجغرافي اهمالًا تامًّا حتى اننا لا نجد في ترجمة القديس مارون سوى اسم واحد من اسماء الامكنة وسبب ذلك هو انهُ دوَّن ما

١) راجع تأليفهُ المنون « تاريخ الرهبان » في مجموع الاباء اليونان مج ٨٢ واليهِ نشير في هذه المقالة

دون لحمل معاصريهِ على سلوك طريق الفضيلة بايراد سير الزهّاد والقديسين فلم يخطر لهُ في بال ان يشفي رغائبهم في امور كان يفترض انّها معروفة عند جميعهم

وبناء عليهِ تأسف كل الاسف على عدم التفاتهِ الى هذا الشان الذي لو اراد الكتابة فيهِ لكان وفاهُ حقَّهُ من البيـان بغاية الضبط والدقّة. وهب انهُ لم تكن لهُ معرفة شخصيَّة بالقديس مارون فقـد كانت لهُ صداقة بليغة مع القديس يعقوب (١ اشهر تلاميذه الذي أطلعهُ على كل ما يتعلّق بمن يصفهُ هذا المؤرخ اليوناني تارةً بمارون الكبير وتارةً بمـارون « الالهي » (٢ . وكأنَّ توادوريطوس خشي في كلامهِ على الابطال المسيحيين الكثيري العدد من تكرار اخبار الخوارق والمعجزات فبالغ في اختصار سيرة القديس مارون بنوع انَّ من يطالعهـا تتبادر الى ذهنهِ في الحال مسائل كثيرة لا يجد لها حلاًّ وهي: أين ولد القديس مارون وأين عاش واين دُفن واين هو الدير الذي تسمَّى باسمهِ. فاقتضاماً لهذه النواقص عزمنا على ان نسرد في الصفحات التابعة كل ما تيسَّر لنا جمعهُ من المعلومات المؤدية على قدر المكنة الى العلم الكافي باحوال الناحيـة التي تعطَّرت باريج هذا الناسك العجيب ولهذا نضرب صفحاً عن الاطنـاب في حياتهِ متوسعين بوصف البلاد التي صرف فيها أيامه لان ذلك اعون على فهم ترجمته

١

في القسم الشمالي الشرقيّ من سوريَّة كانت تمتدّ في ذاك الزمان القديم مقاطعـة كوماجينة وهي ناحية متَّسعة الاطراف يحدُّها من الشمال جبل طوروس ومن الشرق نهر الفرات ومن الغرب قيليقية. واماً من الجنوب فيصعب تحديدها وبناء عليهِ نرسمها بخطّ غير منتسقٍ يذهب من الفرات الى ما تحت هيرابوليس (منبج) حتى يتصل بجبل امانوس (المادغ) مارًّا تحت مدينة حلب وشماليّ بحيرة العمق بالقرب من انطاكية

هذا هو اعظم اتساع ادركتهُ كوماجينة عند ما كانت تشتمل ايضاً على المقاطعة « القورسية » (٣ التي دُعيت بهذا الاسم نسبةً الى مدينة قورس حاضرتها وكان موقع

---

١) راجع في تاريخ الرهبان تراجم تلامذة القديس مارون

٢) Θεσπέσιος

٣) وفقاً لبعض قدماء المؤرخين

هذه المقاطعة الثانيــة في جنوبي الاولى وسنذكر بُعَيد هذا مقدار امتدادها (١ لان الكلام عليها لا يخلو من فائدة كبرى للاطلاع على اخبار القديس مارون

وحتى يكون للقارئ تصوُّر صائب بهذه المقاطعــة نكتفي الآن من القول ان كوماجينة تنطبق في الحاضر على قسم من ولايتَيْ معمورة العزيز وحلب غير ان الجزء الاكبر من كوماجينة هذه كان في ضمن ولاية حلب اعني انهُ كان يشمل بالتقريب كلَّ متصرفيَّة مرعش ويدخل فيهِ من متصرفية حلب المركزيَّة اقضية عينتاب وكلِس والباب وصارم وجبل سمعان ومنبج. اما من متصرفيــة اورفة فما كان يحتوي غير قضائين غربي الفرات اي جزءا من قضائي بيرجيك وروم قلعة

وكان الذين استوطنوا هذه المقاطعة من بادئ الامر قبائل الحثيين ومنها امتدُّوا بعد ذلك الى بقية سوريَّة. يدل على ذلك ما عثر عليهِ الباحثون من الآثار التي ابقاها للاجيال الغابرة هذا الشعب الذي لم يُعرف من اخباره حتى الآن شيء كثير (٢. على ان القبائل المذكورة ما لبثت ان اختلطت بالآراميين الذين اسَّسوا هناك كثيرًا من الممالك أخصُّها بيت عدين وارباد وكانت قاعدة هذه المملكة الثانيــة مشيَّدة في موقع تلّ أرفاد شماليّ حلب

وكانت كوماجينة في عهد دولة السلوقيين من جملة مقاطعات المُلك الذي اسسوهُ غير انها ما لبثت ان استعادت استقلالها وارجعت ولايتها الى ملوك من اهلها. وبعد وفاة انطيوخوس الثالث في السنة السابعة عشرة للمسيح صارت الى الرومانيين فادخلوها في جملة مستعمراتهم غير ان ذلك لم يدم الَّا سنوات قليلة لانها في السنة الثامنة والثلاثين رُدَّت الى ابن الملك انطيوخوس السابق ذكرهُ وبعد مرور اربع وثلاثين سنة اي في السنة الثانية والسبعين ضُمَّت بوجه نهائي الى المستعمرات الرومانيَّة وكانت سميساط حاضرةً لها (راجع ماركاردت في نظام المملكة الرومانيَّة. مج ٢ من الترجمة الافرنسيَّة ص ٣٤١ و ٣٤٢)

اما سكَّان المقاطعة المذكورة فكانوا آراميين أصلًا ولغةً. نعم ان الآداب اليونانيَّة

---

١) راجع استرابون (ك ١٦ ف ٢) وبليينوس (ك ٥) الخ

٢) راجع المشرق (٥: ٧٥٩)

كانت قد دخلت البلاد بدخول السلوقيين واصابت نجاحاً جديداً في أيام الرومانيين غير ان هذا النجاح كما نبَّه على ذلك العلاَّمة نُلدك لم يتصل الى درجة امتدَّت معها اللغة اليونانيَّة او الآداب اليونانيَّة امتداداً عظيماً بل حدّ ما فيهِ ان صنائع المغرب وطريقة المعاش فيهِ قد فازت بشيء من التقدّم وان بعض عناصر الحضارة الغربيَّة قد تسرَّبت الى افكار القوم المتمدنين ولغتهم. قال نُلدك: « امَّا القول بان اللغة السريانيَّة قد زالت من المراكز المتهذّبة فهو من قبيل المبالغة والغلوّ فان الآراميَّة كانت لغة قديمة استعملها اهل التمدن في التخاطب والكتابة بينما كان القوم في رومية وارباضها لا يعرفون في ذاك الوقت حروف الهجاء. وفي أيام ملوك الفرس الذين كان قورش المالك اشهرهم اتُّخذت الآرامية لغة رسميَّة في مصر وفي آسية الصغرى ايضاً اي في خارج موطنها الاصلي. وفي أيام الامبراطرة الاولين الرومانيين نجد الآراميَّة ايضاً كلغة رسميَّة لا في تدمر وحدها بل ايضاً في المملكة النبطيَّة حتى بلاد العربيَّة في الجهة التي تُعرف اليوم بالحجاز اي في ناحية غريبة عن منشإ اللغة المذكورة على ان ذلك لم يكن نتيجةً لتغلبها السالف بدليل ان آثار تدمر والنبط تنطق بان هذه اللغة اصابت نموّاً وانتشاراً فيما بعد أيام ملوك الفرس وعلى ذلك فقد كانت اللغة الحيَّة في سوريَّة وبها كان القوم يتخاطبون ويتكاتبون

« نعم ان اليونانيَّة كانت من زمان قد حلَّت محلَّها في الاصطلاح الرسمي ولكن القوم في ما خلا ذلك لم يكونوا يكتبون ولا يتكلمون الَّا بالآراميَّة ولا يصح في كل حال تعليق اهميَّة كبيرة على ما كان يعملهُ بعض اهل المدن من تكليف معلمي المدارس بكتابة بعض تواريخ يونانيَّة على مدافن اموتهم مع انهم يكادون لا يفقهون منها كلمة واغلب هذه التواريخ مشوَّهة بالاغلاط فوق ما يمكننا وصفهُ (١ » انتهى كلام نلدك

فيُستدل ممَّا مرَّ ببيانهِ ان مقاطعة كوماجينة كانت كبقيَّة سوريَّة آراميَّةً محضة كما سبق لنا اثبات ذلك في غير هذا الموضع. امَّا مستخدمو الحكومة وقليلون غيرهم من افراد السكَّان فكانوا يفهمون اليونانيَّة ويتكلمون بها لا اكثر

وفي اثناء القرن الثالث والقرن الرابع تقسَّمت سوريَّة تقسيماً اداريًّا جديداً

١) راجع المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG) سنة ١٨٨٥ ص ٢٣٣

وسنذكر تفصيل هذا الامر واخباره في خلال مقالتنا هذه. اما كوماجينة فتسمّت على إثر التقسيم المذكور بسوريّة الفراتيــة نسبةً الى الفرات وجُعلت هيرابوليس (منبج) قاعدةً لها وجرى كذلك بعض التعديل في حدّها الجنوبي فتمدّد الى الجنوب ولاسيما في النواحي القريبة من الفرات غير انهُ سُلخت عنها ناحية حلب وأُلحقت بسوريّة الاولى

وكانت في جنوبي كوماجينة ناحية تدعى «القورسية» ولا بدَّ لنا من توفية الكلام حقَّهُ على هذه الناحية نظرًا لما يترتّب عليهِ من الفائدة في المسألة التي نحن بصددها

وكان لهذه التسمية كما لغيرها من التسميات الجغرافيَّة امتداد يعظم ويقلّ بحسب الازمنة ففي ايّام استرابون كانت تُطلق على ارض واسعة تذهب من جبل امانوس الى الفرات وتشمل خلا ناحية قورس ناحيتي حلب ومنبج. غير انَّها بعد ذلك كأيّام القديس يوحنَّا ذهب والقديس مارون مثلًا انحصرت بناحية مدينة قورس فعن هذه الناحية الأخيرة نتكلّم الآن ولمزيد التوضيح ندعوها «القورسية الصغرى» وسنبحث عن وصفها في كتب تواودوريطوس الشهير الذي تولى اسقفيتها مدَّةً طويلةً من السنين

كانت مسافة القورسية الصغرى اربعين ميلًا في عرض مثلها وكانت فيهــا جبال معتدلة الارتفاع بين سبعمائة وثمانمائة متر معظمها كاسٍ بالغابات. ومع انهــا ليست بذات ثروة وغنى كان فيها نحو ثمانمائة محلّ بين دساكر وقرى كبيرة كما يتبيّن ذلك من رسالة لتواودوريطوس كتبها الى القديس لاون الكبير فيها يخبر البابا المشار اليهِ انهُ يعتني بثمانمائة كنيسة(١. ولم تكن فيها سوى مدينة واحدة اعني بها قورس التي باسمها تسمّت الناحية كلها. وسنذكر كيف كانت المدينة في ايّام القديس مارون غير أنّنا قبــل ذلك يجب ان نعيّن موقعها وموقع الناحية التي كانت قاعدة لها ومركزًا مدنيًّا ودينيًّا

على مسافة ستين كيلومترًا شماليّ حلب تجد مدينة كلّس التي هي قصبة قضاء يُسمّى باسمها واذا توغلتَ في الجبال على مسافة خمسة عشر كيلومترًا نحو الشمال الغربي تدلُك الخارطة على شبه وادٍ ففي هذا الوادي كانت مدينة قورس التي كان تواودوريطوس اسقفًا لها وحتى اليوم ما زالت خرائبها ناطقة بكبرها واتساعها واهل البلاد يسمونهــا

١) راجع الرسالة ١١٧ وفيها يعترف تواودوريطوس باولية الحبر الروماني. راجع ايضًا الرسالة ٤٣

« قورس » او « كورس » وليس بين ايدينا لسوء الحظّ وصف مدقّق لهذه الخرائب والبلاد المجاورة لها لأنّنا لم نزرها كما ان السيّاح القليلين الذين زاروها لم يتركوا لنا شيئاً من نتيجة ابحاثهم عنها. وآخر من زارها من السيّاح هو المسيو برتلمي ترجمان قنصلية فرنسة في حلب وذلك في شهر ايلول سنة ١٨٩٤ غير انّنا لم نرَ من تقريره سوى خلاصة يسيرة ظهرت في نشرة مجمع الكتابات لسنة ١٨٩٥ (١ تتضمن ثلاثة رسوم شمسيّة تمثّل « اخربة قورس العظيمة » ووُجد ايضاً بين اوراق المستشرق الشهير غيلدميستر مقالة عن قورس لم تُنشر بالطبع (ZDPV, XIV, 82) وكل هذه الناحية التي يهمّ البحث عنها كثيراً توضيحاً لمنشإ الطائفة المارونيّة وتاريخ النصرانية في سوريّة تستحقّ ان يقصدها الباحثون وينقّبوا في آثارها بالتفصيل والتدقيق. غير انّنا تعويضاً عن سكوتهم بذلنا الجهد حتى نجمع من الكتب كل ما لهُ بالقورسية علاقة قريبة او بعيدة وسنجعل جلّ اعتمادنا في هذه المسألة على مصنّفات تودوريطوس ونتخذها إماماً لنا في بحثنا هذا

٢

اذا تابعنا فورير (٢ وجب القول بان قورس من اقدم المدن السوريّة وانّها سبقت دمشق لانّ هذه على موجب قوله قد أسستها احدى الطوارئ التي اتت من قورس. غير ان تعليل فورير منقوض لان آية النبي عاموس (٩ : ٧) التي يعتمد عليها لا تصح لهُ الّا اذا اثبت انّها تشير الى مدينةٍ سوريّة لا الى ناحية من اسية الصغرى مع ان هذا الراي الثاني اقرب واوفر احتمالاً (٣

وزعم آخرون انّها تأسست اكراماً واجلالاً لقورش العظيم ملك الفرس ولعل هذا الزعم ناجم عن كتابة بعض المؤرخين البيزنطيين الذين كانوا يكتبون Κῦρος بدلاً من (Κυῤῥος). وكان موقع المدينة في ناحية قليلة التضاريس وكان فيها على عهد الرومانيين طريقان رومانيان أحدهما يتجه الى الرها والآخر الى حماة (٤ ويظهر من التاريخ انّها

١) راجع Cemptes-rendus de l'Acad. des Inscriptions, 1895, p. 469

٢) Furrer, ZDPV, VIII, p. 39

٣) راجع قاموس الاداب الكتابية لفيكورو في مادة Cyrène

٤) كتاب المسالك لانطونين Itinerarium Antonini (ed. Parthey, 84, 86, 87)

كانت اذ ذاك مهمة لأنها اعطت اسمها الى ناحية كبيرة مثل « القورسية » التي كانت تشتمل كما سبق القول على نحو النصف من مقاطعة كوماجينة غير ان اتساعها تبدّل اخيرًا بالضيق كما تقدمت ايضاً ملاحظة ذلك

ويحتمل ان تكون قورس قد ابتدأت في هذه الفترة تنحطّ قليلًا عن مقام مجدها غير انّها كانت في ايّام تودوريطوس والقديس مارون موقعاً حصيناً يحمي قلاع ناحية الفرات (١ واستمرّت كذلك حتى الفتح العربي فأُلحقت فيه بناحية العواصم (٢ وفي أيام عبد الملك ضُربت فيهِ سكّة (٣ ممّا يثبت انها كانت اذ ذاك صاحبة شان ومقام وقد استرجعها نور الدين من الصليبيّة ومن بعدهِ لم نعثر لها على ذكر ونظن انهُ ما طال الامر حتى أُهملت وهُجرت غير أنّنا لا نجسر على متابعة من قال بان نور الدين المذكور هو الذي اخربها . وهذا كل ما نعلمهُ من تاريخ قورس المدني

وفي ايّام تودوريطوس التي نهتمّ لها بنوع خاصّ لانها كانت بالوقت نفسه ايام القديس مارون تظهر قورس كمدينة صغيرة لان المؤرخ المذكور يسميها « πολίχνη » (٤ غير انهُ يجب الحذر من اتخاذ هذه التسمية على حرفيتها فكما ان اهالي لندن وباريس الذين يضارعون او بالحري يتجاوزون شعب مملكة او اكثر قد يتزلّون سائر المدن منزلة اماكن حقيرة لا اهمية لها هكذا يمكن ان يكون قد خطر مثل هذا الخاطر للمؤرخ تودوريطوس الذي ائتلف رؤية محاسن انطاكية وطنه وجزيل اتساعها. ومعلوم انها كانت اذ ذاك ثالثة حواضر العالم المتمدن او على الكثير رابعتها . وبناء عليهِ سترى بعد هذا انهُ لم ينل عزاء تامًّا بسبب اضطراره الى فراق انطاكية والاقامة في حاضرة اقليمية كمدينة قورس التي يشهد باهمّيتها الحقيقية اتخاذها ثكنةً للعساكر ما بين طريقين عظيمين رومانيين

والظاهر انها لم تحوِ غير قليل من الآثار التي وفّرها التمدُّن اليونانيُّ الروماني في المدن السوريّة كالاقنية والمناهل والاروقة المغطاة المستندة الى اعمدة ممّا كان يُبنى في

---

١) راجع C. R. Acad. Inscript., 1902, p. 513

٢) راجع فتح البلدان للبلاذري ص ١٢٣ ، ١٤٩ وقدامة ص ١٥٣ (طبعة دي غوي) . امّا العواصم فمرّ ذكرها في المشرق (٦ : ١٣٣) ٣) المجلة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG, 1889, p. 984)

٤) راجع مجموع آباء اليونان لمين (ج ٨٣ ص ١٣٣١)

الشوارع المهمّة ليقي المارة في ايام الصيف من حرّ الشمس وفي أيّام الشتاء من الامطار (١ وكل ما احتوتهُ من هذا القبيل قد تمّ بمساعي وعناية اسقفها العظيم الذي لا نبالغ اذا سميناهُ مؤسسها الثاني

قال تواودوريطوس المذكور: « انني شيدتُ في قورس من اموال الكنائس اروقةً عموميّة وبنيت جسرين عظيمين واعتنيت بالحمّامات العموميّة ثم انني اتخذت قناة وجررت بها مياه النهر القريب وهكذا متّعت المدينة بالمياه الغزيرة التي كانت محرومةً منها قبلًا » (٢ وكانت قورس خاليةً من طبيب فسعى تواودوريطوس كل السعي في حمل احد الاطباء على الاقامة بمدينته الاسقفيّة (٣ ولهُ غير ذلك ايضاً من الاعمال الدالّة على اهتمامه العظيم بالحاجات الزمنية لابناء رعيتهِ

واننا لنأسف عن عدم تمكننا في هذا المبحث الجغرافي خاصةً من الاطناب في مآثر هذا الرجل العظيم الذي يُعدّ من مشاهير عصره ونوابغ دهره فقد كان متسع المدارك رفيع الفهم محتقرًا حطام الدنيا وكان مع ميلهِ الى المفاخر والمعالي يقدم على العظائم ويبذل كل مقتناه في سبيل الفقراء والآثار النافعة للجمهور . وكان من الذكاء على جانب عظيم يرتاح الى الاطلاع على كل شيء والوقوف على كنهه وحقيقته . ومن الخطابة في اعلى مقاماتها لا يفوقهُ فيها احد غير فم الذهب . ومن المنصب الاسقفي في اسمى مراتب الهمة والغيرة والتقى بحيث يصح ان يُجعل إماماً وقدوة لكل الاساقفة في كل عصر (٤ ولهذا كان احقّ مؤرخ بتدوين سير الابطال المسيحيين كالقديس مارون الذي لولا آثار قلمهِ لجهلنا ترجمتهُ

غير ان ما نعلمهُ من الجغرافية الطبيعية لقضاء كلّس يشرح ويتمم وصف القورسية

---

١) كانت كل المدن السوريّة المهمّة مشتملة على مثل هذه الاروقة كما يتبيّن ذلك من مشاهدة تدمر وجرس (عجلون) . والعمد الكثيرة المتراكمة حتى اليوم في ميناء جبيل وشوارعها هي من بقايا الاروقة المذكورة ٢) تاريخ الرهبان (فصل ٢١ والرسالة ٨١)

٣) يتكلم تواودوريطوس في الرسالتين ١١٤ و١١٥ عن كاهن اسمهُ بطرس عانى التطبيب زماناً طويلًا في قورس . واكتشفوا ايضاً في دياميس رومية حجر ضريح لكاهن من المتعاطين صناعة الطبّ . غير ان القوانين التي ترتّبت بعد ذلك حظرت الطب على رجال الاكليروس

٤) ان سيرة تواودوريطوس هي من السير البالغة حدّ الكمال تستحق ان يطالعها كل من اختارهم المولى لحمل عبء الاسقفية الثقيل

مثلما يُفهم من الافادات المنثورة في كتابات تودوريطوس فان البلاد كلها مشغولة بجبل الاكراد وهو عبارة عن أسناد اي جبال صغيرة منفصلة عن سلسلة امانوس الكبيرة ولم تزل هذه الجبال حتى ايامنا كثيرة الآجام والغابات (١ بحيث تدهش جميع السيَّاح الذين اعتادوا النظر الى تعرّي بقية سوريَّة من الاشجار غير انهم اذا بحثوا عن القرى الثمانمائة التي كانت في القرن الخامس لا يقفون لها على اثر

وقد علمتَ ان تودوريطوس يتكلم على نهر جرَّهُ الى المدينة وعن جسرين كبيرين شيَّدهما هناك . وفي الحقيقة انهُ تمرّ في جوار قورس عدَّة انهار منهـا نهر عفرين اخصّ السواعد الشماليَّة لنهر العاصي . وبالقرب من قورس يلتقي بالنهر المذكور نهران صغيران احدهما صابون سو والثاني جاموس ديرسي ولعلَّ مياه نهر صابون القريب من اخربة قورس هي التي جرَّها تودوريطوس الى كرسي اسقفيته

ومع قرب الانهر المذكورة كانت بقية الناحية القورسيَّة كثيرًا ما تصاب بالجفاف وقد ذكر تودوريطوس خبر جفافٍ اصابها في رسالة وجهها الى اريوبنداس يسألهُ فيها ترك الديون التي لهُ على المزارعين باراضيه الواسعة في القورسيَّة (الرسالة ١٣) ويذكر ايضاً خبر جفاف آخر في ترجمة بوليخرونيوس (٢

هذا ما استطعنا جمعهُ من المعلومات عن مدينة قورس وجيرتها غير اننا لم نقف على معلومات تُذكر عن سائر اماكن القورسيَّة لان تودوريطوس لا يشير في ما خلفهُ من الكتابات الَّا الى قليـل منها مثل اسيكا ونيتيس وتيليا وثرغالا وراما وسيتّا ونيارا ونيموزا (٣ ولم يلحق بهذه الاماكن شيئاً من الاوصاف ما خلا نيارا فانهُ وصفها بانها مدينـة وقد رأيتَ ان لاكثر الاماكن السابق ذكرها اسماء آرامية وهو امر طبيعي في ناحية آرامية خالصة كما مرَّ لنا اثبات ذلك في الكلام على كوماجينة إجمالًا وكما سنثبتهُ بعد هذا في الكلام على القورسيَّة خصوصاً

---

١) مما يجب التنبيه اليهِ هو انهُ يوجد بين اشجار هذه الغـابات اشجار مثمرة تنبت من تلقاء نفسها . وهكذا كانت الحال في ايَّام تودوريطوس لانهُ يخبر عن القديس يعقوب النـاسك الشهير انهُ كان يقتات من ثمار اشجار الغاب (مج ٨٢ ص ١١٠٩)

٢) راجع مجموع الآباء اليونان لمين (ج ٨٢ ص ١٢٦١)

٣) في المجلَّد نفسهِ ص ١٢٢٩ , ١٢٣٢ , ١٢٥٣ , ١٢٥٤ , ١٢٥٧ , ١٢٥٩ , ١٢٦٠ , ١٢٦٤

ولم يكن سكّان القوردسيّة من ذوي الغنى والثروة بدليل ان اسقفهم كان يضطرّ الى اسعافهم والقيام بالاشغال العموميّة لديهم. وكان في بعض المرّات يرفع العرائض من اجلهم الى الامبراطورة بولخرية القديسة وغيرها من كبراء المنصّبين (١ وهي تدل من جهة على شهامة قلبه وحنانه ومن جهة ثانية على شقاء الاهالي الذين بهظتهم الضرائب وثقلت عليهم جدًّا حتى ان الكثيرين منهم لعجزهم عن القيام باعبائها كانوا يؤثرون التسوّل وهجر الاوطان (الرسالة ٤٢) (لهُ بقيّة)

حِكَم بُزُرجمِهر

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

وسُئل بزرجمهر: من اكثر الناس عداوةً. قال: الفاحش الجامد الكفّ. سئل: من اكثر الناس صديقًا. قال: البارّ بالناس اللّين الكلمة. سئل: اي السرور احلى. قال: سرور عواقب الاحتمال. سئل: اي الشهوات اعدل. قال: تجربة العقلاء ذوي اللبّ والحياء. سئل: اي الامور اعسر على صاحبها. قال: التماس رضا الاشرار. سئل: اي الاشياء اتعب تعبًا. قال: خدمة الامراء وصحبتهم. سئل: اي الاشياء اسرع تقلّبًا. قال: قلوب الملوك. سئل: اي شيء اسرع انقطاعًا. قال: مودّة الاشرار الجهّال. سئل: اي شيء أبين جورًا. قال: اللسان الكذوب. سئل: اي شيء افسد لقلوب الناس. قال: الظنّة والتهمة. سئل: اي شيء اشدّ تهجينًا لصاحبه. قال: الصَّلَفُ والمزاح للسوقة والبغي في الحروب وصغر الخطر وقلّة الحياء في النساء واتباع الهوى للعلماء والكذب لذي الشرف. سئل: اي الامور افضل في صلاح الدين. قال: الشكر لذوي النعم. سئل: ما بال العقلاء لا يُكثرون ملامة الجهّال. قال: كما لا يلومون العميانَ على قلّة البصر والمشايخ على كبر السنّ كذلك لا يلومون الجهّالَ على جهالتهم. سئل: ما افضل ما يعتقد اهل العقول من الخصال المحمودة. قال: قلّة الاسف على ما فات وقلّة الحزن

١) راجع رسائلهُ ٤٢ – ٤٥